



الرواية الجزائرية الحديثة تحت مظلة الواقعية

Modern Algerian novel under the umbrella of realism

رجاء بلبنشير*، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، belbachirraja9@gmail.com

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي

بدرية سفير، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، firial-ritaj@hotmail.com

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي

تاريخ المقال

النشر: 2023/06/19.

القبول: 2022/06/14

الإرسال: 2021/06/23

ملخص البحث

ملخص البحث

الواقعية	سعت الرواية الجزائرية منذ بدايتها أن تقدّم أو تبرز امتلاكاً معرفياً وجمالياً للراهن الذي
الأدب	تصدر عنه زماناً ومكاناً، بحيث أنها تشكل لنا جزءاً من هذه الحياة بمختلف ظروفها، لقد
الرواية الجزائرية	ساعدت الظروف السياسية والتاريخية في الجزائر أن تكون هذه الأخيرة ذات عمق بعيد الرؤية
المجتمع	وصدق قوي في الأحاسيس والعاطفة لارتباطها الوثيق بالحياة الاجتماعية والانسان والبيئة، كما
الواقع	استمدّ الأدباء الجزائريون مادتهم من الواقع الذي عاشوا فيه فكانت الرواية مرآة عاكسة
	للحياة بمختلف أوضاعها وسلاحها فكري وإبداعي له خصوصياته وجمالياته.

Abstract

The Algerian novel has sought since its inception to present or highlight an epistemic and aesthetic possession of the present that it emits in time and place, so that it forms part of this life for us in its various circumstances. The political and historical circumstances in Algeria have helped the latter to be of far-sighted depth and sincerity. Strong in feelings and emotion, due to its close association with social life, mankind and the environment, Algerian writers also derived their material from the reality in which they lived, so the novel was a mirror reflecting life in its various situations and an intellectual and creative weapon with its own peculiarities and aesthetics.

Keywords

Realism
Literature
Algerian novel
Society
reality

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

و التراب، و النار، و الهواء، و الصخور و الشمس، وتشمل أيضا القيم المختلفة، وهناك في الواقع تنغم بين الإنسان و الطبيعة في حلقات الشرب؛ حيث إنه زيادة عما فيها من متعة، فري تسموا إلى مرتبة عالية من مراتب التعامل مع الأشياء، و بذلك نكون حيال نوع من التناغم أو الترشيح بين الإنسان و الطبيعة.

و الكاتب وهو يحكي الواقع، ويفتر منه، يحس أكثر من غيره بهذا التناغم، كما يضمن عمله الروائي الإيديولوجية السائدة في المجتمع سواء أكان الكاتب نفسه يتبنى هذه الأيديولوجية، أو يتعارض معها، فإذا كان يتبنى الأفكار السائدة فإن العمل الروائي يتضمن أيديولوجية واحدة، أما إذا كان موقفه مخالفا، فإنه يقدم أيديولوجية المجتمع بصورة فنية، ويقدم موقفه أو الموقف المعارض بصورة ضمنية غير مباشرة تقهم من خلال العمل ككل وهو ما يدعوه "حميد الحمداني" "الرواية كإيديولوجيا" يقول: "إن الإيديولوجيا في الرواية إذن تكون عادة متصلة بصراع الإبطال بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيراً عن تصورات الكاتب بواسطة تلك الأيديولوجيات المتصارعة نفسها". (مفقودة صالح، 2009، صفحة 33)، فالأديب و هو "يعالج الواقع لا يتناول قضايا معينة بالدراسة، كلاً و لا يقوم بتصوير الواقع كما هو، فالعمل الروائي كما العمل الفني ككل، تحطيم للواقع و بعثرة له ثم إعادة بناء من جديد". (مفقودة صالح، 2009، صفحة 34)، فالكاتب الروائي يستورد مادة خاما قبل كل شيء و يقوم بعملية تصنيع و هي ما تسمى بعملية الخلق الفني؛ حيث ينقل الواقعي، و يقوم بتركيب شيء آخر فيه من الخيال بشيء معتبر، حقيقة أن الخيال في الشعر أوفر و أكثر حظاً من الرواية، لكن هذه الأخيرة تتوفر على القدر الكافي لها من موهبة الخيال، و هكذا يتم نقل المادة من الموضوعي الواقعي إلى الفن الروائي عن طريق آلية تعرف بالتخييل الروائي الذي يعدّ جوهر عملية الخلق الفني. فالخيال الفني خيال خلاق يجعل الأمور متماسكة، كما يوحد العمل الفني و يوحي باحتمال واقعية العمل الروائي، مما يجعل القارئ أو الناقد يتحدث عن علاقة الرواية بالواقع (ينظر: مفقودة صالح، 2009، صفحة 34)، كما لا ينبغي للأديب أن يكون مخلصاً للواقع المرجعي لكي لا يكون تلميذاً غشاشاً، يقوم

تتعدد الجوانب الشكلية و الفنية للرواية الجزائرية، وتختلف باختلاف أساليبها و طرق تناولها فيها، لكن الرابط الذي يجمع بينها هو أن جميعها تستظل تحت مظلة الواقعية الواسعة، فإن الظروف التي سادت في الجزائر أنتجت كوكبة من المبدعين، عبّروا عن واقعهم بانتهاجهم للتيار الواقعي الذي جاء متماشياً و رغباتهم.

إن الحديث عن الرواية الجزائرية الحديثة، يوضح أنها كانت أسيرة لقصص الثورات و المآسي التي عاشتها الجزائر، فلم تستطع الخروج عن دائرتها، فاتخذت منها مادة حكائية شكلت بداياتها و نهاياتها، و زمنها من خلال القرائن التاريخية و الإشارات الزمنية التي يوظفها الخطاب الروائي.

كما أن البعد الواقعي لا يحقق واقعيته في الرواية إلا بقدر اقترابه من فهم المجتمع و فهم الجماهير، فالعمل الفني يكتسب حيويته بمدى اهتمامه بأشكال الصياغة الجمالية التي تقرّبه من الواقع و المجتمع وتجعله مستساغاً، فبالتالي حين نقول أن الرواية ذات تيار أو رؤية واقعية، هذا لا يعني أبداً غياب العناصر الجمالية و الفنية فيها، فهذا التيار شكّل قفزة نوعية في هذا الفن سواء على صعيد المضامين أو الأشكال، فما مدى نجاعة الرواية الجزائرية الحديثة في معالجة واحتواء المجتمع و قضاياها، وكذا تطلعات الجيل الجديد...؟ وكيف تبلورت الرؤية الاستشرافية للمؤلف نحو الواقعية بين التنبؤ الغامض و التطلع المشرق للمستقبل؟

2. تأصيل الواقعية:

2.1 الواقعية في الرواية:

تطوّر النثر الجزائري و بالأخص الروائي منه، و بلّور أفكاره وموضوعاته الأساسية، و سائر النهضة الثقافية و الاجتماعية والسياسية للبلاد، فحاول أن يقدم أو أن يبرز امتلاكاً معرفياً و جمالياً للراهن الذي تصدر عنه زمانا و مكانا.

فإن الواقع المرجعي الذي تحاكيه الرواية أو تنقل عنه، يعني الواقع بكل ما فيه من أشياء وعناصر مختلفة، كما يشمل أيضا الإنسان، أي أن الرواية فيها أشياء و عناصر و شخصيات روائية، من ورائها الكاتب و القارئ ولهذا الشخص صلة بالعناصر المختلفة مثلما للإنسان في الواقع صلة بهذه الأمور الممثلة في الماء،

دمار في القرى و المدن الجزائرية. كذلك لم تغفل عن دور المرأة في المجتمع سواء في الجهاد أو في الأعمال الأخرى التي غاب عنها الرجل أثناء تحضنه الجبال أيام الجهاد كما جاء في رواية "الحريق". (ينظر: رئيسة موسى كريزم، 2010، صفحة 18)

أعطت رواية "الحريق" مثلاً نظرة عن كل الأبعاد الواقعية في وقت كانت فيه اللغة العربية محاربة بشكل مبالغ فيه، فقد استطاع "نور الدين بوجدره" أن يطرح نفس الموضوعات التي طرحها الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، مستفيداً في ذلك من الإنجازات الواقعية للرواية الغربية، فقد تلاحت رواية "الحريق" بالثورة و لو بشكل عاطفي، عكس ما فعلته ربما روايات أخرى مثل "حريق" لمحمد ديب و "الدار الكبيرة" و "النول"، و "نجمة ياسين"، و القضية (لهنري علاق Henry Alleg). (ينظر: واسيني لعرج، 1986، صفحة 481)

قد حاول معظم هؤلاء الكتّاب "فضح قناع البورجوازية الفرنسية التي ظلت تموّه وجودها بالشعار القديم: مساواة، أخوة، حرّية. لقد كانت المادة الوجودية الضخمة التي تنطوي عليها الكتابات الجزائرية الواقعية و حصيلة مشاهدات الفنّانين التي كشفت فيها عن الواقع، تكافحاً من أجل ضرورة إبدال العلاقات الاجتماعية الانسانية بعلاقات أخرى، تقوم على مبادئ الإنسانية و كانت في مجموعها على اختلاف مستوياتها الفنيّة تعكس بشكل واضح التدرّج العضوي لصعود الثورة". (واسيني لعرج، 1986، صفحة 482)

إن اتّسع هذه التوجهات الجمالية و النقدية كان يُحدّد اتجاه الفنّانين الجزائريين، في تناول السمات المهيمنة في الحياة و تثبيتها في الكتابة.

كما سبق القول أن معظم الروايات الجزائرية كانت تتغنى بموضوع الثورة، و كأنّ الفترة التي مرّت قبل عام 1970 كانت للاستعداد و التهيؤ و النظر في الحاضر نظرة تأمل و تعمّق انطلاقاً من ماضي الجهاد و الكفاح. كرواية "ريح الجنوب" التي أثارت "قضايا كثيرة تتصل بالأرض و المرأة، و بنضال الأفراد من أجل الحياة و المستقبل كما تعالج الدوافع الشخصية التي تحرّك الإنسان و تقوده إلى مصيره، ثم تعرّض فيها لجانب الشرّ في الإنسان و صراعه الدائم ضدّ روااسب الماضي و محاولته للتفوّق على نفسه لكن يساق إلى نهاية لا يريدّها لأن الظروف أقوى منه". (عبد الله الركيبي، د ت، صفحة 201)

بنقل الواقع نقلاً آلياً ميكانيكياً، فمرآة الأديب تعكس الأمور بطريقته الخاصة، يوضّحها محمود كامل الخطيب بقوله: "إنّ الرواية تقدم شبكة العلاقات الواقعية الاجتماعية إياها، لكنّ ذلك لا يتم عبر مرآة مستوية، بل عبر مرآة مقعّرة أو محدّبة أو عبر عدسة أو مصفاة أو عين أو مرآة خيال". (مفقودة صالح، 2009، صفحة 34)، فالعالم الروائي هو خلق لواقع جديد "إنّ الواقع الروائي هو المجهول، هو المحجوب و هو الوحيد الذي تتوجب رؤيته، و هو فيما يبدو أوّل ما يتوجّب إدراكه، كما أنه لا يقبل التعبير عنه بأشكال معروضة و مستهلكة. "فنتالي ساروت" تدعوا إلى مواجهة واقع جديد، و كشف عوالم مجهولة من خلال عملية الخلق و تدعوا إلى الجدّة في الطّرح، و الابتعاد عن الموضوعات المألوفة بغية الوصول إلى أشكال جديدة و جميلة". (مفقودة صالح، 2009، صفحة 35)

تتعدد الجوانب الشكلية و الفنية للرواية الجزائرية، و تختلف باختلاف أساليبها و طرق تناولها فيها، لكن الرابط الذي يجمع بينها هو أن جميعها تستظل تحت مظلة الواقعية الواسعة، فالجس القوي في التعامل مع الواقع الجزائري الغني و الثري كان الرابط القوي بين هذه النصوص، و ذلك بما فيه من تنوع، فلا يخفى على أحد أنّ الرواية الجزائرية صبغت بصبغة ثورية و نالت نصيباً واسعاً من الاهتمام لما عالجت من قضايا الثورة التحريرية الكبرى، و قضايا التطوّر التي مسّت المجتمع الجزائري.

"إنّ كافة الأشكال الروائية المطروحة، سواء على صعيد المضامين، أو الجمالية الروائية، تجد مبرراتها التاريخية، في تاريخ الجزائر الثقافي و السياسي ذاته". (واسيني لعرج، 1986، صفحة 599)

2.2 مضامين الرواية الجزائرية الحديثة برؤية واقعية:

إذا اعتبرنا الروايات الجزائرية الأولى، التي ظهرت في خمسينيات القرن العشرين أنها لم تحفل بسمات فنيّة محدّدة، لأنها تخطّت الجوانب التقنيّة و لم تحفل إلا فيما نذر فقط و بل لأنّها قليلة العدد، و لا تسفر عن نتائج ذات قيمة في التاريخ الأدبي، فإنّها استطاعت أن تعطي لمحات عن الواقع الجزائري في ذلك الوقت من فقر و جهل و طموح و تطلع إلى الأفضل عن طريق الحث عن العلم كما في رواية "الطالب المنكوب" إلى جانب تصويرها الأعمال الوحشية للمستعمر الفرنسي و ما ألحقه من

أشارت هذه الأخيرة إلى موضوع التأميم الزراعي و ظلم الإقطاعيين و مدى استغلالهم للناس... "فبالإضافة إلى استيفائها لشروط الفن الروائي، تعالج و لأول مرة و في واقعية متزنة و هادفة، موضوعا اجتماعيا يهم الجماهير الواسعة من الشعب الجزائري". (رئيسة موسى كريزم، 2010، صفحة 19)

لقد تنفست "ريح الجنوب" -عند فراغ المؤلف من كتابتها- في ظروف برزت فيها الثورة الزراعية كحقيقة تاريخية، ذات جذور في المجتمع الجزائري، وأصبحت أكثر ضرورة و تأصيلا، ثم أبعد عمقا وأشد تنظما قانونيا، وكانت النفوس تنهيا لاستقبال "ميثاق الثورة الزراعية" الذي صدر سنة 1971 لتكون الإجراءات صارمة عنيفة، مخيفة للإقطاعيين وضروب الإقطاعية مبشرة ببداية النهار -كما يتمناها الجميع حقيقة كاملة محسة لا قوانين ورقية ميثية - نهاية لعهد الأكوخ و"الخماسة" والأجراء المستعبدين في ذل "الرعي" و "الخمس" وتوفير الحياة الكريمة للجميع وفك العزلة عن الريف الذي عاني المحن والآلام، وأثناء الاحتلال والثورة عليه للنهوض بهذا الريف وإعطائه وجهها جديدا، إن لم ينافس المدن، فليصمد في وجه مغرياتهما على الأقل. (ينظر: عمر بن قينة، 2012، صفحة 205)

يقول النقاد في ذلك: "إنها اجتماعية، وواقعية صافية. و فيها شيء من الرومانسية و الوجودية، و إنها لا تخلو من الشاعرية و الرمزية، و هناك من جعل الروائي واقعا نقديا، يتسم بوضوح الرؤية تارة و قصورها تارة أخرى". (الطيب ولد العروسي، 2009، صفحة 167)

و في السياق نفسه يرى عبد المجيد مزيان أنها حدث ثقافي يستجيب لمتطلبات و احتياجات الأجيال الصاعدة لأدب واقعي و ملتزم.

يعد الإرث الإبداعي لـ "عبد الحميد بن هدوفة" إرثا متنوعا، واصل الروائي إبداع و الكتابة بأسلوب واقعي ملائم؛ حيث يضع نصب عينيه طبيعة الموضوع المتناول بكل أجواء و ملاساته، و قد وصل إلى حد ما لتحقيق هدفه بفطنة إبداعية، كما أن ارتكازه على جزء من الرصيد الشعبي سواء من حيث الأمثال أو من حيث العادات و التقاليد أسهم بشكل أو بآخر في إعطاء طابع حقيقي و أصيل للرواية. (ينظر: واسيني لعرج، 1986، الصفحات 284-400)

فقد التزم هؤلاء الروائيون بأهدافهم التي حدّدها لرواياتهم، فعلى سبيل المثال رواية "اللاز" للطاهر وطار هي رواية تتجاوز بكل واقعية مع مرحلة ثورية من مراحل الثورة التحريرية الجزائرية. جاءت كإنجاز فني ضخم، يطرح بكل واقعية و موضوعية قضية الثورة الوطنية بكل خلفياتها التاريخية، و طبيعة التحالفات التي طرحت على مختلف القوى التي يهيمها استقلال الجزائر أولا، فقد حاول الطاهر وطار أن يركّز قدراته الإبداعية على كل السبلات التي صاحبت هذه الأحداث، و هي سبلات ليست في النهاية إلا الوجه الآخر للتناقض الطبيعي الذي يحدث في أي ثورة وطنية، بما أنها تضم فئات بشرية غير منسجمة طبقيا بشكل كامل و إن كان يجمعها بشكل ما هدف واحد هو الاستقلال. (ينظر: واسيني لعرج، 1986، صفحة 494)

و كأتما الروائي كان يصفى حسابه مع الماضي، لكي يفرغ نفسه و جهده للحوار مع حاضر بلاده و حاضر أمته فيما يلي من أعماله.

يرى بعض الدارسين و النقاد أنها رواية "تؤرّخ لظهور الرواية الإيديولوجية السياسية في الأدب الجزائري الحديث، فقد عرض المؤلف أحداثها عرضا واقعيا بأسلوب بسيط دون الاهتمام بالصياغة اللغوية لأن اهتمامه ينصب على الاعتناء بالأفكار و مضامينها الاجتماعية". (ياغي عبد الرحمان، 1999، صفحة 142)

و يدافع طاهر وطار عن الواقعية بقوله: "عندما كتبت "اللاز" لم يكن قصدي التقليل من شأن الثورة، كانت كتاباتي نقدا ذاتيا من داخل الثورة". (رئيسة موسى كريزم، 2010، صفحة 20)

لقد استطاع "الطاهر وطار"، بتجاربه الثورية الجيدة، أن يفتح مرحلة جديدة، لتطور الواقعية الاشتراكية في الرواية الجزائرية، فهذه "الملحمة الروائية أعادت النظر في التاريخ بشكل ملحي، صحيح، و لم تعتمد على المستهلك، و على ما هو قائم و جاهز، لتعطي أحكامها في القضية المحورية للرواية، فوضّح "وطّار" بذلك المهمة الإيديولوجية التي يولّدها الفن الروائي، إلا و هي معرفة توضيح المحتوى المادي للحركة التاريخية و توضيح اتجاهاتها". (واسيني لعرج، 1986، الصفحات 488-489)

و قد تابع وطار بعد ذلك، الوعد الذي قطعه على نفسه بضرورة تتبّع الرحلة النضالية للجزائر عبر كافة حقبة تطوّرها

بذلك يقومون بأعمال بطولية تدل على أنّ الوعي الثوري قد امتدّ إلى الأطفال، و نضالهم لا يتمثل بقذف الحجارة فقط، إنها لأنهم يؤدّون دورا مهما يضابق الغدو... (أحمد دوغان، 1996، صفحة 89)

و روايات أخرى تجلّ فيها تصوير الحدث و المقاومات الشعبية و مواجهتها للاستعمار نذكر منها رواية "ليلة حميدة العسكري" لبوجادي علاوة و رواية "باب الريح" لجرودة علاوة و هي روايات تحمل لوحات واقعية من حياة الثورة الشعبية.

كما تقدّم لنا الروائية "زهرة ونيسي" رواية تحمل في مضمونها إسهامات المرأة و دورها الفعال في المشاركة في الكفاح النضالي و مواجهة الاستعمار من خلال روايتها الموسومة بعنوان "من يوميات مدرسة حرة" قدّمت "حدثا يبلور صورا من النضال في حرب التحرير.. ركّزت على مشاركة المرأة في الثورة و مقاومة الاستعمار إلى جانب أخيها الرجل، و لم يقف الحدث عند معارك الفداء، و إنّما يمتد ليشمل الصّراع بين الغزو الثقافي التبشيري، و بين المدارس العربية الحرة، ثم التأكيد على الهوية الوطنية للشخصية الجزائرية". (أحمد دوغان، 1996، صفحة 91)

و لم تكن هذه الروايات فقط التي تناولت معركة التحرير، وإنما هناك روايات عدة كانت أحداثها تدور حول ثورة نوفمبر، وقد عاشت الموضوعات السابقة بشكل عام، منها رواية "نهاية الأمس" لعبد الحميد بن هدوفة، ورواية "الانفجار" لمحمد حيدار، ورواية "المؤامرة" لمحمد مصايف، ورواية "كان الجرح ويا ما كان" لمحمد الأخضر عبد القادر السائحي، وفي الرواية الأخيرة يقول "السائحي": على لسان بطل روايته "لقد أبدع الشعب الجزائري بنضاله المستميت كل ما يثير الإحساس بجمال الثورة و بانتصارها الحتمي، لقد مجدت ثورة الجزائر بطلاً واحداً هو الشعب". (أحمد دوغان، 1996، صفحة 92)

مهما أجمعنا المواضيع المعالجة لقضية الثورة، فإننا لا نستطيع التماس جميع جوانبها، فالوقوف عند الماضي الثوري يوضح الرصيد الجم للرواية الجزائرية، فصورتها التي صوّرها الأدباء الجزائريين بكل واقعية لم تكن مجسّدة في بعد واد إنّما جاءت في اتجاهات مختلفة، حاولنا الوقوف على أبرزها و أهمّها.

التاريخي بدءا من "الثورة الوطنية" "اللاز" إلى الثورة الديمقراطية الوطنية في "العشق و الموت في الزمن الحراشي" بكافة إشكالاتها التاريخية. (واسيني لعرج، 1986، صفحة 489)

عرفت الروايات الجزائرية نجاحا على مستوى المضامين و البناء الفني و لعلّ أنّ "ما يميّز هذا البناء الناجح هو هذا السير الهادئ الواعي في الخط المرسوم من أول إلى آخره. و ربّما كانت روايات "اللاز" و "الزلزال" و "ريح الجنوب" و "الشمس تشرق على الجميع" و طيور الظهيرة أحسن نموذج في البناء الفني.

3. قضايا الواقعية في النصوص الروائية الجزائرية الحديثة:

إذا استبعدنا البدايات الأولى للرواية الجزائرية التالية: "حكاية العشاق" لمحمد بن إبراهيم و "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوجو، و "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي، و "صوت الغرام" لمحمد منيع، فإن الأحداث الواقعية التي عالجتها الروايات الجزائرية تبنى على المحاور التالية:

- ◀ الثورة الجزائرية المسلّحة.
- ◀ التطبيق الاشتراكي و الثورة الزراعية.
- ◀ الجالية الجزائرية وواقع المهجر.
- ◀ الهجرة من الريف إلى المدينة.
- ◀ وقضايا أخرى. (ينظر: أحمد دوغان، 1996، صفحة 87)

و قد جاء ذلك في عدد كبير من الروايات نذكر منها، روايتي "نار و نور" و "دماء و دموع" لعبد المالك مرتاض، فقد حاولت أن تكون في مستوى الثورة أو على الأقل تساير منجزاتها فحملت رواية "نار و نور" قصة نضال و صراع مبررين من أجل الخبز و الدفء. بكلمة موجزة من أجل استرداد كرامة الإنسان المداسة من طرف البورجوازية الفرنسية التي عملت كل ما وسعها لإذلال الشعوب". (واسيني لعرج، 1986، صفحة 165)، فكان هدف الروائي هو تأكيد إيمان الشباب المثقّف بالإرادة الثورية.

أما الروايات التي صوّرت واقع الثورة و المقاومة الشعبية، إضافة إلى رواية "اللاز" التي سبق ذكرها، رواية "طيور الظهيرة" لمرزاق بقطاش، فهي رواية تعرض علينا كل الوقائع التي حدثت في المقاومة الشعبية" و بالتحديد منذ الإضراب الوطني عام 1957م، و تقف عند عالم الأطفال، و تطرح أمامهم مفهوم الثورة، و كأنّه بهذا يريد أن يعرفهم حقيقة الصراع و يجعلهم

الكبيرة أو العاصمة، بمؤسّساتها وإداراتها وصراع الطبقات فيها، و لا ينسى دوره في تبني الالتزام الوطني والوقوف إلى جانب قضايا الجزائر المصيرية". (أحمد دوغان، 1996، صفحة 99) و من الروايات التي احتلتّ وجها بارزا في تصوير الواقع ثم التعرّض إلى سلبياته ونقدها... روايات "الطّاهر وطّار"، رواية "العشق و الموت في زمن الحراشي" و رواية "عرس البغل" و رواية "الحوت والقصر". تتشكل جمالية هذه الأعمال الروائية وواقعيتها من خلال جوهر الصراع الذي يتركز على الأساليب التناقضية في طرحه للأحداث و فنيّاتها.

كما يتعرّض الروائي "واسيني لعرج" في رواياته إلى القهر الاجتماعي، فرواية "وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر"، تضع القارئ أمام حدث تتضافر فيه عوامل النضال الثوري. و رسم الروائي القهر بصورة أكبر في روايته "نوار اللوز" و "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش".

و ينقلنا الروائي "رشيد بوجدره" في رواية "التفكك" إلى حدث يتناول فيه الواقع الذي يظهر للقارئ أنه معقّد، لكنّه يطرح في جزئياتها الواقع الاجتماعي بكل طبقاته، و قد يبدو السلوك الفردي للشخصيات فيها شاذ للقارئ، كما يمكن أن يبدو نضالا لقارئ آخر، لا يجد الروائي مانعا من تقديم شخصيته "الطاهر الغمري" اللامنتهي - شكلا، و المناضل - و مضمونا، و شخصية سالمة التي يقدّمها على أنها لا تمنع من القيام بلعبة الحب - لكن الوجه الآخر، أنها واحدة من أبناء و بنات جيلها، تحاول معرفة كل شيء حتى تاريخ الثورة وحقائق النضال. (أحمد دوغان، 1996، الصفحات 100-101)

كما شغلت الرواية الجزائرية في مضامينها الحديث عن موضوع (الهجرة)، فهذا الموضوع طرح بكثرة و خاصة و أنه بعد الاستقلال أخذت هجرة الجزائريين إلى فرنسا طابعا سلبيا و لا شك أن رواية "ما لا تذرّه الرياح" لمحمد عرعار "تشخّص لنا هذا الواقع أي واقع المهجر أيام حرب التحرير، و زمن الاستقلال؛ حيث طرح الروائي العديد من الحقائق التي يعيشها المهاجرون في المنفى، كما عملت الرواية على كشف السلبيات، إيماننا من الروائي بأن الثورة ليست داخل الوطن فقط و إنما تكون في كل مكان. (ينظر: واسيني لعرج، 1986، الصفحات 237-238) و يضعنا الروائي "واسيني لعرج" في رواية "جغرافية الأجسام المحروقة" على واقع الجزائريين في المهجر و يصور لنا كل المشاكل

كما سبق الذكر أن مع بداية السبعينات أخذت الجزائر تشهد حركة أو هينمة حسب رأي "مالك بن نبي"، وهذه الحركة تبلورت في الصراع الذي أدى إلى تغيير جذري في الواقع الجزائري نتيجة التطبيق الاشتراكي، والعمل بالثورات الثلاث الزراعية والصناعية والثقافية، وعلى الخصوص الثورة الزراعية، وليس من السهل الوقوف في وجه الإقطاع والاستغلال بسبب تركة الاستعمار الفرنسي، فرواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة "تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض والمرأة، وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل و المؤلف فيها ألم بحياة الناس في القرية، وتحدث عن الفرد، وروح الجماعة، وعن الماضي القريب والبعيد أيضا..." عمّقت هذه الرواية المفهوم الايديولوجي للثورة، وركّزت على محاربة الإقطاع، و عملت على طرح البديل. (ينظر: أحمد دوغان، 1996، صفحة 93)

إذا كانت الواقعية سمة واضحة للرواية الجزائرية، فإن الواقعية الاشتراكية تتجسد في روايات الطاهر وطار، وهذا من خلال معاناته للواقع ففي روايته "الزلال" يعيش الحدث قضايا الثورة الزراعية بجزئياتها، فهو يطرح حدثا رئيسا هو تأمين الأرض، وزلال "وطّار" زلال جماهيري يحاكم الإقطاع.

و قد اعتبر "الطّاهر وطّار" أعماله وفاء بوعده الذي سجّله على نفسه في مقدمة رواية "الآز" بقوله "سأقتطع من عمري سنوات أخرى، ساعة فساعة لأضع رسما جميلا لبلادي الثائرة، بلاد التسيير الذاتي و الثورة الزراعية و تأمين جميع الثروات الطبيعية". (أحمد دوغان، 1996، صفحة 95)

ثم تقف الرواية الجزائرية الحديثة عند توجّه آخر، يتجسد بالالتزام بقضايا الجماهير، ثم نقد الواقع المعاش، فكانت هذه الأعمال الروائية تصوّر في مضامينها الواقع اليومي، و تعرّض إليه لنقده قصد البناء و ليس العكس أي (التحريض)، و هذا ما يسمى بالواقعية النقدية في الرواية.

و من النماذج الروائية التي عايشت هذا الحدث رواية "بان الصبح" لعبد الحميد بن هدوقة "قدّمت لنا أسرة (الشيخ علاوة) أو الجنرال كما تسميه بالأسرة أو (الثكنة) التي تضم بين أفرادها الوصولي و البرجوازي، المزيّف و اللاأخلاقي، كما أنها احتوت على شخصية إيجابية هي ابنة شقيق الشيخ علاوة، و كانت سببا في كشف الزيف، و فضح هذا الوسط بكل متناقضاته، كان "بن هدوقة" في هذه الرواية يرسم الوضوح الفكري لعالم المدينة

التي يتلقونها فيه، فيطرح الصراع بين شخصياته الروائية، ليقرب القارئ من الأوضاع المعاشة هناك أكثر.

أما الهجرة الأخرى التي تعرضت لها الروايات الجزائرية هي الهجرة داخل الوطن و ذلك من الريف إلى المدينة، نجد الروائي "عبد الحميد بن هدوقة" قدّم تصويراً دقيقاً لها فلمشكلات التي تعرضوا لها من خلال روايته "بان الصبح"، فالرواية الجزائرية كانت في مستوى الواقعية، عالجت الواقع بتحوّلاته و جزئياته فلا يكاد أن يوجد محتوى روائي جزائري بعيد عن الواقع و عن القضايا التي عاشها الشعب الجزائري و عكست بصيغة فنيّة و إيديولوجية كل ما تعرض له الشعب الجزائري في فترة تاريخية عصيبة مرّ بها الوطن.

1.3 المحنة الوطنية في الرواية الجزائرية:

لابدّ من ذكر قضية أخرى، كان لها صدى ببعدها الانفعالي، و طبع خاص في معظم الكتابات و هي "العشرية السوداء"، "فالأدب هو امتداد في زمن يلتقط مادته مما هو ظرفي و يعلو عليه". (عامر مخلوف، 2000، صفحة 64)، فالإرهاب ليس حدثاً بسيطاً في حياة المجتمع الجزائري، و لا يقاس بالمدة التي يستغرقها و لا بعدد الجرائم التي يفتعلها، بل بفظاعتها و درجة وحشتها لذلك فإن وقعه في القلوب والعقول قد يعادل وقع الثورة التحريرية. (ينظر: عامر مخلوف، 2000، صفحة 65) فهذا الواقع جعل العديد من الكتاب و الروائيين يسجّلون مدى ثقله على الواقع فعكسوا بإبداعاتهم تلك الفترة الساخنة من الجحيم الإرهابي بالجزائر. نذكر رواية "تيميمون" و هي رواية لرشيد بوجدر، صدرت سنة 1994 "أحلام مستغانمي" "ذاكرة الجسد"، "زهرة ديك" "بين فكي وطن"، "الأعرج واسيني" "سيدة المقام"...

"إذا عدنا إلى الجزائر، فإن العنف كان فظيلاً وحشياً خلال حقبة التسعينيات حصد فصلاً عن المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية أرواحاً كثيرة وخلف جراحاً أيضاً كثيرة نفسية وجسدية ولم يمنع انشغال الناس بالحفاظ على أنفسهم بعض الكتاب من تسجيل تلك الوقائع في كتاباتهم الروائية، فقدّموا لنا مدونة معتبرة اتخذت العنف موضوعاً لها تكشفه و تعرض نتائجه السلبية". (شريف حبيلة، 2010، صفحة 18)، فآثر الإرهاب في هذه الروايات "لم يجعل منه محرك التاريخ، بل ظاهرة طارئة على التاريخ، حدثاً عارضاً يعيق الحركة مما يقطع

حبل التسلسل في القراءة، و سيبقى محطة سوداء في طريق التاريخ، كما تظهر الأخبار بقعا سوداء في جسد الرواية، لكنّها عقبات لا تحول دون قراءة الرواية كما لا تحل دون كتابتها العقبات لا توقف مجرى التاريخ و إن بقيت وشماً في جسد التاريخ". (عامر مخلوف، 2000، صفحة 68)

في هذه الفترة الساخنة من تاريخ الوطن واصلوا إبداعاتهم فظهرت عدّة روايات مثل رواية "الشمعة و الدهاليز" للطاهر وطار، فهي أنموذج يتجلى فيه المحنة الوطنية و يظهر من خلالها صورة المثقف وتحدياته و آلامه و اضطهاده، بالأفكار والثقافة و الإيديولوجية التي يحملها.

هذا النص الروائي "حاول أن يجمع العالم في واحد، فيجمع بين المتناقضات: بين الملحدّين و المؤمنين، و اللاتكيين و الدينيين، بين الخونة و الوطنيين، و بين الأبناء و الأبناء، ضمن صراع الحضارات، و بين من يؤمنون بالتطور النير و التمدن الخير، و بين من يصرون على العودة إلى الوراء". (حفناوي بعلی، 2015، صفحة 255)، فالكتاب اهتموا في هذه الفترة بنبش الأعماق، و تفكيك خيوطها... و تصوير كل جزئياتها للقراء، فسيل الكتابة في هذه الفترة أصبح غزيراً لمدى شدّة الوضع و شدة الآلام و الآمال التي عاشها الشعب الجزائري فالأدب "هو امتداد في الزمن يلتقط مادته مما هو ظرفي و يعلو عليه". (عامر مخلوف، 2000، صفحة 64)

تجلت في أدب الثورة ذروة التحام الذات المبدعة بهوم الآخرين و سادت المبادئ العامة و الحرية، والاستقلال، والكفاح، وكرامة الشعب فوق كرامة الفرد، فالتزم الكتاب بالتعبير عن عظمة الثورة و شرعيتها التاريخية، و قد يضحي الفنان في كثير من حالات الإبداع بروعة الفن إيماناً منه، لكي يصل إلى أعماق الجماهير و يصور أحاسيس شعبه بصدق بديع تتعاضد فيه ذات المنشئ مع الذات المتلقية في عناق رائع، يستطيع في لحظات الثورة أن يهدم الحواجز الجائرة و يتقدم بالخطى الواثقة والثابتة نحو شعاع غده الساطع. (ينظر: شريبط أحمد شريبط، 2007، صفحة 40)

إن الرواية الجزائرية كانت أسيرة لقصص الثورة و العنف و المأساة التي عاشتها الجزائر، فلم تستطع الخروج عن دائرتها، فاتخذت منها مادة حكاية شكلت بداياتها و نهاياتها، و زمنها من

9. مفقودة صالح. (2009). المرأة في الرواية الجزائرية. بسكرة، الجزائر: دار الشروق للطباعة و النشر. الروائي.

4. خاتمة:

10. واسيني لعرج. (1986). اتجاهات الرواية العربية في الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

11. ياغي عبد الرحمان. (1999). البحث عن إيقاع جديد في رواية العربية. بيروت، لبنان: دار الفرابي للنشر، ط 1.

و في الختام لا يسعنا القول أن هذه الدراسة هي مجرد محاولة للكشف عن الأبعاد الواقعية العديدة التي عالجتها الرواية الجزائرية الحديثة، أثناء فترة تاريخية محددة من الزمن الذي عايشته بكل تداعياته، فالرواية الجزائرية الحديثة هي رواية واقعية، نقلت و التقطت يوميات المجتمع و صوّرت جزئياته، و عكست أبعاده الفكرية و الثقافية و السياسية والاجتماعية، في زمن عنيف صنع الأزمة، مما جعلت هذا الأخير يعاني عدّة مسائل، في بشاعة العنف و الممارسة، في واقع فقد الاستقرار و الأمن.

5. المصادر والمراجع:

1. أحمد دوغان. (1996). في الأدب الجزائري الحديث. دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب.

2. الطيب ولد العروسي. (2009). أعلام من الأدب الجزائري الحديث. الجزائر: دار الحكمة للنشر.

3. حفناوي بعلی. (2015). تحولات الخطاب الروائي الجزائري، آفاق التجديد و متاهات التجريب. عمان الأردن: دار اليازوني العلمية للنشر و التوزيع.

4. رئيسة موسى كريزم. (2010). عالم أحلام مستغاني الروائي. عمان: دار زهران للنشر و التوزيع، ط 1.

5. شريف حبيلة. (2010). الرواية و العنف دراسة سسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديثة.

6. عامر مخلوف. (2000). الرواية و التحولات في الجزائر، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية. دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب.

7. عبد الله الركيبي. (د ت). تطور النثر الجزائري الحديث.

8. عمر بن قينة. (2012). دراسات في القصّة الجزائرية (القصيرة و الطويلة). برج الكيفان، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة و النشر.